

## 'ارفع رأسك إنك في الفلوجة'

21-2-2005

taharlabidi@free.fr

مدينة لا تنحني لا تستسلم مهما كانت قوّة الزلازل، مدينة لا تأكل من ثديها  
كما يقتات عبّاد المناصب، مدينة تعلمنا أن الحرية لا تستورد عبر فوهة  
المدافع، وأن التغيير لا يكون عبر الإنزال والاعتصاب وتهديم الجوامع،  
تعلمنا التمرد والعصيان والتصدي لكل غاصب، تعلمنا أن عبّاد الهزيمة لا  
مكان لهم إلا في المزابل، مدينة تعلمنا أن المعارضات المستوردة مثلها  
مثل أحذية العساكر، وأن المعارضات المدجّجة لا يمكن أن تكتسب الأصوات  
ولا الضمائر، تعلمنا أن المتحالفين مع الاحتلال مصيرهم مصير "  
**بقلم الطاهر العبيدي**

مفردات صاحبة تخرق سهيل المدافع وسعال الرشاش، حروف سمراء تدوس الهوان  
العربي وتنتفض على الزكام الرسمي، وتوخز السبات القومي وتتحدّى الغناء السياسي،  
كلمات مفحّخة تؤرّخ الوعي القيمي وتنصّ على الشرف الإنساني، وتسجّل قمّة الانتماء  
الوطني وتنتصر للدم العراقي، عبارات انقلابية على كل التفاسير وكل التحاليل، وكل  
التهايل وكل خطب العجز الجنائزي...  
\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

جملة فعلية تقدّم الفعل عن الكلام، وتنتصر على واقع الهزيمة والاستسلام، جملة فعلية  
ذات فعل متعدّي، يعلمنا كيف نكون وكيف يكون الرجال، تعلمنا كيف نعشق الحرية  
وكيف نتصدّى للغزاة وكل فنون القتال، جملة فعلية تعلمنا أن الصمت وتحمل الذل  
رجس من "عمل الجبان"، تعلمنا أن النفوس الأبية ترفض الصيم، ترفض القهر وترفض  
الاحتلال، جملة فعلية تأبى التكتّم عن القهر، عن الذل وعن طراوة اللسان، جملة فعلية  
توقظ النيام وعبّاد الهزيمة وقراصنة الكلام، جملة فعلية تفعلّ النفوس الأبية، وتحول  
الغضب إلى بركان...

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"  
جملة فعلية تحول الأجساد إلى قنابل، لتوقظ تلك الشريحة القدرية التي تؤمن أن التفوق  
العسكري لا يقاوم، جملة فعلية ترجّ النفوس والضمائر، وتزرع بذور العربي المقاوم..  
\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

جملة اعتراضية تعترض القنابل العنقودية، تعترض حكومة مزوّرة تماما كما العملة  
المزورة، تعترض حكومات مزيفة، تعترض وزراء ووزارات مؤنّثة، تعترض أنظمة منصّبة،  
تعترض معارضات كالذباب متكّومة، تعترض مرجعيات روحية متفجّجة، تعترض سياسات  
وبرامج مشوّهة، تعترض انتخابات ستقام على أنقاض مجزرة..  
\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

عنوان كل تلك الجدران المنتفضة، عنوان الأرقّة والحارات والشوارع وكل الكلمات الملتهية، عنوان الكرامة وعشق الأوطان والنفوس المحرّرة، عنوان الرضّع والأطفال والشيوخ والعجائز، والشباب والأرامل والجرحى، وكلّ تلك المدينة التي تتلقى صواريخ الحربة المدمرة..

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

مكتوبة على جدران الفلوجة، على أبواب المنازل، على أروقة الفنادق، على حيطان المطاحن، على حدود المزارع، على نواصي الأرامل، على خيام القبائل، على شفاة العشائر، في ساحات المساجد، وفي صوت المآذن، لتعلن لخفافيش الظلام أن الليل مهما طال فالفجر قادم.

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

ارفع رأسك تقول لك الفلوجة، ارفع رأسك لا تنحني، فالموت واحد، والعمر واحد، والوطن واحد، والموت واحد، والرب واحد، فعلى ماذا الذل وعلى ماذا الخوف، وما هذا التخاذل، وما هذا اليأس وهذا التشاؤم، وخذ كفنك وقاوم..

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

مدينة لا تنحني لا تستسلم مهما كانت قوّة الزلازل، مدينة لا تأكل من ثديها كما يقتات عبّاد المناصب، مدينة تعلمنا أن الحرية لا تستورد عبر فوهة المدافع، وأن التغيير لا يكون عبر الإنزال والاعتصاب وتهديم الجوامع، تعلمنا التمرد والعصيان والتصدي لكل غاصب، تعلمنا أن عبّاد الهزيمة لا مكان لهم إلا في المزابل، مدينة تعلمنا أن المعارضات المستوردة مثلها مثل أحذية العساكر، وأن المعارضات المدجّجة لا يمكن أن تكتسب الأصوات ولا الضمائر، تعلمنا أن المتحالفين مع الاحتلال مصيرهم مصير "الحركيين" في ثورة الجزائر، تعلمنا أن الانتخابات الحرّة لا تقام على أنقاض الإبادة والمقابر..

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

فهذي الحجارة والرمال والطيور والحصباء ترفض التخاذل، وهذي الليالي والأقمار والصوّان والجسور والسدود ترفض السقوط والتمايل.

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

ارفع رأسك عاليا وقل هذه الفلوجة أرض الشرف والمعارك، ارفع رأسك وقل هذه الفلوجة أرض وأجداد وتاريخ يقاتل، ارفع رأسك وقل هذي الفلوجة مدينة ترفض الركوع ترفض التنازل، ارفع رأسك وقل هذي الفلوجة مدينة الرمال والنخيل والمآذن، ارفع رأسك وقل هذي الفلوجة مدينة تكتب التاريخ بلا أقلام بلا ألواح بلا فضائيات، ولكن عبر الأجساد وعبر المساجد، ارفع رأسك وقل هذي الفلوجة أرض العزّة والمعارك، ارفع رأسك وقل هذي الفلوجة تتصدّى للدبابات للطائرات وتتحدى هذا الشبح الآفل، ارفع رأسك وقل هذه الفلوجة أرضك وأرضي، وأرض من كان يؤمن أن الطغيان مهما طغى زائل، ارفع رأسك وقل هذي بلادي وذاكم أجدادي، وتلك حضارتي وهؤلاء جنود غزاة، يودّون تحريف أسماء أولادي، يودون شرب آبار النفط، وتلوّث الأنهار وتحوير معالم أجدادي..

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

ارفع رأسك يا مسلم، هذه الفلوجة تستشهد نيابة عن دمك ودمي، وتكتب للجرح قصص

البطولة، نيابة عن صمتك ونيابة عن تلكاً قلمي، وتحكي للصغار حكايات الشرف المهدور في وطني..

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

لا لتقل أن الفلوجة أُلقت بنفسها إلى التهلكة، ولكن قل أن الفلوجة رسمت لنا بداية المعركة، لا لتقل الفلوجة تسببت في مجزرة، ولكن قل الفلوجة سماد لأرض محررة..

\* "ارفع رأسك إنك في الفلوجة"

ارفع رأسك سيدي القارئ، لا تنتظر إلى قنوات التفاهة والرقص، ولا إلى صحافة التفاهة والرجس، ارفع رأسك سيدي القارئ، لا تنتظر إلى أنظمة العبودية والفلس، ولا تنتظر إلى حكومات المؤتمرات وقمم الملاحق والصحون، ولكن لتنتظر أن التاريخ لا يؤرّخ أصحاب الرذائل والبطون، ولكن يؤرّخ أصحاب الضمائر والهمم والعقول..